Journal of Islamic Sciences
Volume (4), Issue (1): 30 Mar 2021
P: 1 - 22

ISSN: 2664-4347

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد (4)، العدد (1): 30 مارس 2021م
ص: 1 - 22

The rightest word of Imam MALIK's saying about the rising of ALLAH on his mighty throne

Rachid Ben Jilali Ben Salem

College of Arts and Human Sciences || Ain Chock- Casablanca || Morocco

Abstract: This research deals with the belief of imam MALIK and his methodology of the attributes of ALLAH, by explaining his famous saying about the rising of ALLAH on his throne.

Indeed; ALIMAM MALIK (may ALLAH have mercy on him) demonstrated that the rising of ALLAH the almighty on the throne relying on the texts of QURAN and SUNNAH of the prophet (peace be on him) this rising suit the majesty of ALLAH without going deeper in its forms, because the forms of attributes are from the unseen world.

Issues which are incomprehensible to human minds, furthermore one is allowed to question about the manner of the rising of ALLAH on his throne, and also about all other attributes.

Keywords: Imam MALIK, ALLAH's rising on his throne, confirmation of the attributes of ALLAH.

القول السواء لما تضمنته مقالة الإمام مالك في الاستواء

رشيد بن الجيلالي بن سالم

كلية الآداب والعلوم الإنسانية || عين الشق- الدار البيضاء || المغرب

الملخص: يتضمن هذا البحث الوقوف على معتقد الإمام مالك ومنهجه في الصفات الإلهية؛ من خلال شرح مقولته المشهورة في الاستواء، إذ إنه رحمه الله يثبت استواء الرب جل وعلا على عرشه كما هو معلوم في نصوص القرآن والسنة النبوية، استواء يليق به سبحانه دون الخوض في كيفيته، لأن كيفيات الصفات من الأمور الغيبية التي لا سبيل للعقل البشري إلى إدراكها، ومن تم لا يجوز السؤال عن كيفيته، وكذا غيره من الصفات الإلهية.

الكلمات المفتاحية: الإمام مالك – استواء الله تعالى على عرشه – إثبات الصفات الإلهية.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله. وصحبه أجمعين وعلى التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد فقد تناول هذا البحث مقالة الإمام مالك رحمه الله في الاستواء بالشرح والتوضيح والبيان

مشكلة البحث :

كيف ساغ لعالم جليل كمالك رحمه الله في إمامته وعلمه أن يرشح ويتفصد جسمه عرقا من سؤال سائل في أمر من أمور الدين منصوص عليه في القرآن الكريم وهو عالم ترد عليه أسئلة الناس وفتاويهم من مختلف

الأقطار والبلدان؟ ما طبيعة هذا السؤال الذي أثر في كيان الإمام مالك وأحدث في بدنه كل هذا التأثر، ثم جعله يصدر الحكم ببدعة السائل، ويأمر بصرفه وإخراجه من مجلسه؟

أهداف البحث :

1. الوقوف على نموذج من نماذج فهم المتقدمين لنصوص الوحي الغيبية .
2. معرفة منهج الإمام مالك في الصفات الإلهية.
3. معرفة مذهب الإمام مالك في علو الله تعالى واستوائه .

أهمية البحث :

تكمن أهمية هذا البحث في قضيتين أساسيتين:

الأولى: تعلقه بصفة من صفات الباري جل وعلا، وشرف العلم بشرف المعلوم .

الثانية: شرح ودراسة مقالة لأحد الأئمة الأربعة؛ وهو الإمام مالك الذي انتهت إليه الإمامة في الفقه والحديث والإفتاء بالحجاز .

الدراسات السابقة :

قد تكون لمقالة الإمام مالك رحمه الله دراسات وأبحاث قديمة سابقة لتقدم عصر الإمام مالك رحمه الله، وشهرة مقالته، لكن لم أقف على شيء من ذلك. أما الدراسات الحديثة المعاصرة فقد أدركت بعد نهاية بحثي هذا أن لهذه المقالة دراسات، وهي في حدود اطلاعي :

1. " الأثر المشهور عن الإمام مالك رحمه الله في الاستواء" الدكتور عبد الرزاق البدر

هو كتاب جيد نافع لكن صاحبه رحمه الله لم يقتصر على مقالة الإمام مالك، ورام التوسع والاستيعاب فكانت الدراسة مطولة .

2. " الأثر المنسوب إلى الإمام مالك بن أنس في الاستواء، تخريجا ودراسة نقدية"أحمد جينع

اعتنى رحمه الله بتقصي روايات المقالة، وجمع طرقها وتخريجها .

وقد وجدت بحمد الله تعالى أن كل دراسة تختلف عن الأخرى من حيث الأسلوب والمنهج والمضمون وعرض وتقديم المادة العلمية، وكان لكل واحد رؤيته المستقلة والقارئ الباحث يجد في كل واحدة ما ليس في الأخرى،

وقد قال محمود سامي البارودي :

كم غادر الشعراء من متردم ولرب تال بد شأو مقدم

قال هذا ردا على عنترة لما قال :

هل غادر الشعراء من متردم

وكما هو الحال في الشعر والشعراء هو كذلك في سائر العلوم والتخصصات، وفق فتح الله تعالى وتوفيقه في كل زمان ومكان

منهج الدراسة وطبيعتها :

يروم هذا البحث تناول مقالة الإمام مالك في الاستواء وربطها بنصوص الكتاب والسنة النبوية واللغة العربية، وتقديم الشرح المناسب لها وفق فهم علماء السنة واعتماد التوسط في ذلك؛ بعيدا عن الإكثار الممل، والاختصار المخل .

خطة البحث :

تضمن هذا البحث العناصر الآتية :

- المقدمة
- تمهيد
- المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام مالك
- المبحث الثاني: تخريج مقالة الإمام مالك في الاستواء
- المبحث الثالث: استواء الرب سبحانه وتعالى من خلال نصوص القرآن والسنة النبوية
- المبحث الرابع: المعاني اللغوية للاستواء
- المبحث الخامس: في معنى العرش
- المبحث السادس: قول الإمام مالك: "الاستواء غير مجهول"
- المبحث السابع: بطلان ما ذهب إليه المعتزلة من تأويل استواء الرب بالاستيلاء
- المبحث الثامن: الله تعالى في السماء مستو على عرشه، وليس في كل مكان
- المبحث التاسع: كيفية استواء الله تعالى على عرشه من الحقائق الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، والسؤال عنها بدعة .
- الخاتمة: وهي عبارة عن خلاصات البحث المتوصل إليها

تمهيد :

كان مولد الإمام مالك رحمه الله إبان خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان وكانت وفاته زمن الخليفة هارون الرشيد .

فقد عاش أربعين سنة من عمره في عصر الخلافة الأموية، وفي هذا العصر بلغ أشده، وعاش أكثر من نصف عمره الآخر في عصر الخلافة العباسية، وفي هذا العصر اكتملت شخصيته، وتفتقت مداركه ورسخ علمه .

قضى الإمام مالك رحمة الله عليه حياته بالمدينة النبوية؛ مهجر النبي ﷺ، وموطن المهاجرين والأنصار، ومهد الخلفاء الراشدين، وكان لا يبارحها إلا لأداء مناسك الحج، وقد اتخذ منها مكانا لائقا ومناسبا لعبادة الله تعالى، وفهم كتابه، ودراسة الحديث النبوي ومقرا للفقه والاستنباط، ومنهلا لآثار الصحابة والتابعين .

و كان الأمر مختلفا في العراق، هذا البلد الذي اجتمعت وامتزجت فيه وفي الأقاليم المجاورة له الحضارات المختلفة؛ العربية والفارسية والهندية مع توسع رقعة الدولة الإسلامية، وكانت تثار فيه أكثر من غيره النزاعات الفكرية والآراء الاعتقادية المتباينة والمضطربة، وظهرت بالبصرة مختلف الفرق التي تناقش فلسفة العقيدة، والمشاكل الفكرية المعقدة، وكان النصارى يثيرون بين المسلمين أفكارا يبتغون بها حماية المسيحية، وكان الزنادقة يبثون ما من شأنه إفساد الوحدة الإسلامية، وقيام الحكم الفارسي القديم وأرست الفرق السياسية أركانها؛ ومن أبرزها الشيعة[1] والخوارج[2] .

---

(1) أصل التشيع محبة علي ﷺ، واعتقاد أحقيته في الخلافة، وأنه أحق بها من أبي بكر وعمر وعثمان، ويجب أن تكون في علي وأبنائه من بعده، وقد انقسم الشيعة إلى فرق كثيرة منها الزيدية والامامية، وأكثرها غلوا الرافضة الذين يسبون صحابة رسول الله ويلعنوهم، ويغالون في تقديس علي ﷺ. ابن حجر: هدي الساري "مقدمة فتح الباري ص 613

(2) الأوائل منهم خرجوا على علي ﷺ، واستمر خروجهم على الخلفاء طيلة عهد الأمويين. هدي الساري ص613_614

فكان الخوارج يحاربون الدولة الأموية معتقدين كفر من خالفهم، حيث يعيثون قتلا وترويعا وفسادا ونهبا في البصرة والكوفة وغيرهما من الأقاليم. ونمت الفرق الاعتقادية خاصة منها القدرية[3] والجهمية[4] والمرجئة[5].

مكث الإمام مالك رحمه الله بالمدينة المنورة بعيدا عن كل هذا، لكنه كان على علم بما يجري هناك، حيث تفد عليه الوفود بمسجد رسول اللهﷺ من مختلف البقاع، ويلقى الناس من كل الأقطار في موسم الحج، وله طلبة من مختلف البلدان.

فلما طلب منه الخليفة المهدي أن يضع كتابا يحمل الأمة عليه، ويلزم الناس بما فيه قال الإمام مالك رحمه الله: " أما هذا السقع[6] وأشار إلى المغرب فقد كفيتكه، وأما الشام ففيهم الرجل الذي علمته "يعني الأوزاعي"، وأما أهل العراق؛ فهم أهل العراق"[7]

كان موطن الرجل الذي سأل الإمام مالك عن كيفية استواء الرب جل وعلا من العراق، ومنه كان قدومه، وقد نهج مالك رحمه الله كراهة السؤال عما لا يندرج تحته فائدة دينية ومصلحة شرعية يحصلها السائل في أمور دينه أو دنياه، ولا يجد حرجا إذا كان السؤال من هذا القبيل أن يقول: " لا أدري" .

وكان يناظر كبار الفقهاء كأبي حنيفة والليث بن سعد في المسائل الفقهية، لكن كان يكره الجدال والمراء في الدين، خاصة ما كان القصد منه المغالبة وإظهار التفوق ويكره الخوض في ذات الله تعالى وصفاته، وعلى هذا كان الصحابة رضي الله عنهم والتابعون والأئمة الأعلام في زمانه، وبعد ذلك من محدثات الأمور، وبدعة عظيمة في الدين. لذا لما سأله السائل عن كيفية استواء الرب جل وعلا تأثر تأثرا ظاهرا، وأجاب جوابا مجملا لا إطناب فيه.

انتشرت مقالة الإمام مالك في الاستواء واشتهرت، ولقيت الاستحسان والقبول عند العامة والخاصة، واستشهد بها العلماء واحتجوا بها في مؤلفاتهم، حتى أصحاب المذاهب الأخرى؛ الشافعية والحنفية والحنابلة، فضلا عن المالكية .

لدراسة هذه المقالة دراسة علمية منهجية لا بد من طرح جملة من التساؤلات :

1. هل تصح نسبة هذه المقالة إلى الإمام مالك؟ وهل هي ثابتة عنه من جهة النقل؟
2. ما هي المعاني التي يحملها الاستواء في اللغة العربية التي هي لسان الشريعة وخاطب الله تعالى بها هذه الأمة؟
3. ورد ذكر استواء الرب عز وجل في القرآن الكريم بسياقين؛ الأول: الاستواء إلى السماء والثاني: الاستواء على العرش، ما تفسير كل واحد منهما، وما العلاقة بينهما؟
4. ماذا يعني قول الإمام مالك: "الاستواء معلوم "؟ وماذا قال العلماء في بيان معناه؟
5. ماذا يتضمن قول الإمام مالك: "الكيف مجهول"؟
6. لماذا اعتبر رحمه الله السؤال عن كيفيته بدعة، وأمر بصرف السائل وإخراجه من مجلسه؟

---

(3) هم نفاة علم الله السابق؛ يزعمون أن الله لا يعلم الأشياء قبل حدوثها، وينكرون تقدير الله السابق لمقادير الخلائق قبل أن يخلقهم، ويقولون: إن الله لم يخلق أفعال العباد. عثمان بن سعيد الدارمي: كتاب الرد على الجهمية؛ باب ذكر علم الله تعالى

(4) هم الذين أنكروا الصفات الإلهية، وزعيمهم الأول الجعد بن درهم الذي قال: "إن الله لم يتخذ إبراهيم خليلا ولا كلم موسى تكليما" ثم سموا بعد ذلك بالجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان الذي اخذ هذا المذهب عن شيخه الجعد بن درهم "عثمان بن سعيد الدرمي: كتاب الرد على الجهمية ص17"ابن حجر: هدي الساري ص613"

(5) هم من يعتقدون أن الإيمان قول بلا عمل، فكانوا يخرجون الأعمال عن مسمى الإيمان. ابن حجر: هدي الساري ص613

(6) السقع الناحية من الأرض، أو البيت، السقع والصقع: لغتان للعرب. ابن منظور، لسان العرب: مادة سقع

(7) ابن عبد البر: الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء ص 80

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام مالك

هو أبو عبد الله بن عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث الأصبحي. عربي صحيح النسب، ولد سنة ثلاث وتسعين للهجرة. وقيل: سنة أربع وتسعين، وقيل سنة سبع وتسعين .

أخذ العلم عن فحول العلماء من التابعين؛ كنافع مولى بن عمر[8]، ومحمد بن مسلم بن شهاب الزهري[9]، وربيعة الرأي[10]، وعبد الرحمن بن هرمز[11] .

كان رحمه الله شديد التحري والانتقاد للرجال، لا يأخذ العلم إلا عن ثقة[12]، ولا يروي إلا عن ثقة. قال رحمه الله: " إن هذا العلم دين، فانظروا عمن تأخذونه، لقد أدركت سبعين ممن يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عند هذه الأساطين، وأشار إلى المسجد، فما أخذت عنهم شيئا، وإن أحدهم لو ائتمن على بيت مال لكان أمينا، إلا أنهم لم يكونوا من أهل هذا الشأن. "

وفي هذا الشأن قال ابن عيينة [13]: " ما رأيت أحدا أجود بالعلم من مالك، رحم الله مالكا، ما كان أشد انتقادا للرجال والعلماء. "

روى عن الإمام مالك أساطين الحديث ونقاده وعلماؤه؛ كسفيان الثوري[14]، وشعبة بن الحجاج[15]، وسفيان بن عيينة، والأوزاعي[16]، والليث بن سعد[17]، وهؤلاء كلهم رووا عنه وهو حي، وماتوا قبله، إلا ابن عيينة

---

(8) هو نافع مولى عبد الله بن عمر، أبو عبد الله المدني ثقة ثبت فقيه مشهور من أئمة التابعين بالمدينة إمام في العلم متفق على إمامته، صحيح الرواية، لا يعرف له خطأ في جميع ما رواه، مات سنة سبع عشرة ومائة (117ه) ابن حجر: تهذيب التهذيب الجزء العاشر ص 407

(9) محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، كنيته أبو بكر. الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه، هو أحد الأئمة الأعلام التابعين بالمدينة توفي سنة مائة وأربعة وعشرين (124ه) المصدر السابق: الجزء التاسع من ص 445 إلى ص 451

(10) هو ربيعة بن عبد الرحمن فروخ التميمي، تابعي جليل كان مفتي المدينة وعالمها قبل مالك، كان حافظا للفقه والحديث توفي سنة ست وثلاثين ومائة (136ه) المصدر السابق: الجزء الثالث؛ ص 253و254

(11) عبد الرحمن بن هرمز بن أبي سعيد، كنيته أبو سعيد، اشتهر بلقبه: الأعرج، المقرئ المحدث الفقيه. أخذ عن جمع من الصحابة، توفي سنة سبع عشرة ومائة (117ه) المصدر السابق: الجزء السادس ص 290 و291:

(12) الثقة في اصطلاح علماء الحديث وصف للراوي الذي جمع بين العدالة والضبط، أما العدالة فهي هيئة راسخة في النفس تحمل صاحبها على ملازمة التقوى والخوف من الله، باجتناب الكبائر وعدم الإصرار على الصغائر والابتعاد عن خوارم المروءة. وأما الضبط فهو إتقان حفظ الحديث عند التلقي وروايته كما سمعه. ابن الصلاح علوم الحديث ص104-105 وص122. العجلي؛ كتاب الثقات من ص23 الى26

(13) سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، أبو محمد الكوفي ثم المكي ثقة حافظ فقيه إمام حجة مات سنة ثمان وتسعين بعد المائة (198ه) ابن حجر؛ تهذيب التهذيب الجزء الرابع من ص 117 إلى ص122

(14) هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري أبو عبد الله الكوفي؛ ثقة حافظ فقيه عابد إمام حجة مات سنة إحدى وستين ومائة (161ه) ابن حجر: تهذيب التهذيب؛ الجزء الرابع من ص 111 إلى ص115

(15) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي كنيته أبو بسطام الواسطي ثم البصري، هو أول من فتش بالعراق عن أمر المحدثين، وتجنب رواية الضعفاء والمتروكين، وصار إماما يقتدى به وتبعه عليه بعده أهل العراق مات سنة ستين ومائة (160ه) المصدر السابق الجزء الرابع من ص 338 إلى ص 346

(16) أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي؛ نسبة إلى الأوزاع، وهي قرية بدمشق. أحد الفقهاء الأعلام في بلاد الشام استمر مذهبه الفقهي ما بقرب مائتين وعشرين سنة، وكان متبعا في الأندلس إلى أن ضعف أمام مذهب مالك. توفي الأوزاعي سنة سبع وخمسين ومائة (157ه) المصدر السابق: الجزء السادس؛ من ص 238 إلى ص242

الذي مات بعده، وهذا يدل على جلالة الإمام مالك، ورفيع قدره ومكانته في الدين والعلم والحفظ والإتقان. وقد شهدوا له جميعا بذلك .

قال ابن عيينة: " كان لا يبلغ من الحديث إلا صحيحا، ولا يحدث إلا عن ثقات الناس" وقال الشافعي: " كان مالك بن أنس إذا شك في الحديث طرحه كله. " وقال يحي بن سعيد القطان[18]: " ما في القوم أصح حديثا من مالك. " قال ابن عبد البر: " يقصد بالقوم؛ الثوري والأوزاعي وابن عيينة. "[19]

وشهد للإمام مالك على بلوغه مرتبة إمارة المؤمنين في الحديث يحي بن سعيد القطان وعلي بن المديني[20] لذا قال البخاري: " أصح الأسانيد كلها مالك عن نافع عن ابن عمر[21]. "

وقال أحمد بن شعيب النسائي: " ما عندي بعد التابعين أنبل من مالك بن أنس، ولا أحد آمن على الحديث منه. "

وقد جمع مالك رحمه الله بين الإمامة في الحديث والإمامة في الفقه؛ فقد كان يفتي في زمن كان يفتي فيه يحيى بن سعيد الأنصاري، وربيعة الرأي، ونافع مولى بن عمر .

وانتهت إليه إمامة الإفتاء والتحديث بالمسجد النبوي، فكان ينادى بأن لا يفتي ولا يحدث بمسجد رسول الله ﷺ غيره .

قال يحي بن معين: " كان مالك من حجج الله على خلقه. "

كان رحمه الله إماما مهابا عند الناس، ويجل العلم الذي عنده إجلالا عظيما؛ إذا أراد الجلوس للتحديث توضأ وتهيأ ولبس ثيابه وتطيب ووضع العمامة على رأسه، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة، وإذا جلس جلسة لا يتحول عنها حتى يقوم، فكلمه الناس بشأن ذلك فقال: " **أحب أن أعظم حديث رسول الله ﷺ، ولا أحدث به إلا عن طهارة متمكنا.** "

كان يكره أن يحدث في الطريق قائما أو مستعجلا، وكان كثير الصمت، قليل الكلام، يهابه الخلفاء كأبي جعفر المنصور وهارون الرشيد.

رحل للقاء الإمام مالك ومشافهته والأخذ عنه الأئمة الكبار ومنهم محمد بن إدريس الشافعي الذي قال فيه: " مالك أستاذي وعنه أخذت العلم، وما أحد أمن علي من مالك، وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله، وإذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانته. "

---

(17) الليث بن سعد بن عبد الرحمن النهمي أبو الحارث المصري ثقة ثبت فقيه إمام مشهور من السابعة أحد الأئمة الأعلام الأثبات، ثقة حجة بلا منازع. مات سنة خمس وسبعين ومائة (175هـ) ابن حجر: تهذيب التهذيب؛ الجزء الثامن من ص459 إلى ص465

(18) هو يحي بن سعيد ابن فروخ التميمي أبو سعيد الأحول القطان البصري الحافظ الحجة، أحد أئمة الجرح والتعديل. مات سنة ثمان وتسعين ومائة (198هـ) ابن حجر: تهذيب التهذيب؛ الجزء الحادي عشر من ص212 إلى 220

(19) ابن عبد البر: كتاب الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء: ص 59

(20) أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد إمام حجة، أجمع الأئمة جلالته وإمامته، أكثر البخاري الرواية عنه في صحيحه. مات سنة أربع وثلاثين ومائتين (234هـ) ابن حجر: تهذيب التهذيب؛ الجزء السابع من ص349 إلى 357

(21) قال ابن الصلاح: " روينا عن أبي عبد الله البخاري صاحب الصحيح أنه قال: " أصح الأسانيد كلها؛ مالك عن نافع عن ابن عمر. قال ابن الصلاح: وبني الإمام أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي على أن أجل الأسانيد: الشافعي عن مالك عن نافع عن ابن عمر، واحتج بإجماع أصحاب الحديث على أنه لم يكن في الرواة عن مالك أجل من الشافعي. "علوم الحديث ص 16

من أجل مآثر الإمام مالك كتابه: " **الموطأ** " الذي قال فيه العلماء أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ مالك، وقد جمع فيه بين الحديث والفقه، وما استقر عليه فقه أهل المدينة، وإجماعهم على العمل به. قال الشافعي: " إذا وجدت معتمدا من أهل المدينة على شيء، فلا يكن في قلبك شيء منه. "

توفي رحمة الله عليه سنة تسع وسبعين ومائة (179ه)، قال ابن عيينة لما بلغه خبر وفاته: "ما ترك على الأرض مثله"[22]

المبحث الثاني: تخريج مقالة الإمام مالك في الاستواء

ذاعت مقالة الإمام مالك في استواء الرب تبارك وتعالى وانتشرت فأوردها العلماء في مصنفاتهم ومؤلفاتهم، واحتجوا بها في كتبهم، وذلك لأنهم قبلوها واستحسنوها؛ من المالكية وغيرهم من علماء المذاهب المعتبرة الأخرى، ومنهم من رواها مسندة ومنهم من رواها بغير إسناد، معتمدا على شهرتها، ومكتفيا بصحة نسبتها إلى الإمام مالك رحمه الله، وثبوتها عنه :

فقد روى حافظ المغرب أبو عمر بن عبد البر بسنده من طريق عبد الله بن نافع قال: " قيل لمالك: "**الرحمن على العرش استوى**"[23] كيف استوى؟ فقال مالك رحمه الله: استواؤه معقول، وكيفيته مجهولة، وسؤالك عن هذا بدعة، وأراك رجل سوء. "[24]

وروى ابن عبد البر أيضا من طريق أيوب بن صالح المخزومي قال: " كنا عند مالك إذ جاءه **عراقي** فقال له: يا أبا عبد الله مسألة أريد أن أسألك عنها، فطأطأ مالك رأسه، فقال: يا أبا عبد الله: " **الرحمن على العرش استوى**" كيف استوى؟ قال سألت عن غير مجهول، وتكلمت في غير معقول، إنك امرؤ سوء أخرجوه. فأخذوا بضبعيه[25] فأخرجوه. "[26]

وأوردها القاضي أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي بلفظ: " الاستواء منه غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بإخراج السائل. "[27]

وقال القرطبي: " روي عن مالك رحمه الله أن رجلا سأله عن قوله تعالى: " **الرحمن على العرش استوى**" قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء، أخرجوه. "[28]

وأوردها القاضي أبو بكر بن العربي المعافري مع شرحه لها[29] .

---

(22) المصادر المعتمدة في ترجمة الإمام مالك: ابن عبد البر: كتاب الانتقاء في فضائل الأئمة الثلاثة الفقهاء؛ من ص36 إلى ص 113. القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي؛ (ت 544ه: كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك؛) المجلد الأول؛ الجزء الأول والثاني: (الجزء الأول بدء من ص12)

(23) سورة طه؛ الآية4

(24) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، المجلد 6 ص 130

(25) قال ابن منظور: الضبع بسكون الباء؛ وسط العضد بلحمه، يكون للإنسان وغيره والجمع أضباع، مثل فرخ وأفراخ. لسان العرب مادة: " ضبع"

(26) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6، ص 138

(27) عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المالكي: شرح عقيدة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، ص28

(28) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن؛ المجلد الأول، الجزء الأول ص 186

(29) المسالك في شرح موطأ مالك، المجلد3 ص452

وأوردها الألوسي في تفسيره بقوله: " روي عن مالك رضي الله تعالى عنه؛ أنه سئل كيف استوى؟ فأطرق رأسه مليا حتى علته الرحضاء[30]، ثم رفع رأسه فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم قال للسائل: وما أظنك إلا ضالا، ثم أمر به فأخرج. "[31]

وقال القاضي عياض: قال سفيان بن عيينة: سأل رجل مالكا فقال: **الرحمن على العرش استوى**" كيف استوى يا أبا عبد الله؟ فسكت مالك مليا حتى علاه الرحضاء، ما رأيت مالكا وجد من شيء وجده من مقالته، وجعل الناس ينظرون ما يأمر به، ثم سري[32] عنه فقال: "الاستواء منه معلوم، والكيف منه غير معقول، والسؤال عن هذا بدعة، والإيمان به واجب، وإني لأظنك ضالا، أخرجوه. فناداه الرجل: يا أبا عبد الله، والله الذي لا اله إلا هو، لقد سألت عن هذه المسألة أهل البصرة والكوفة والعراق، فلم أجد أحدا وفق لما وفقت له[33].

وروى البيهقي بسنده إلى عبد الله بن وهب قال: "كنا عند مالك بن أنس فدخل رجل فقال: يا أبا عبد الله: " **الرحمن على العرش استوى**" كيف استواؤه؟ قال فأطرق مالك، وأخذته الرحضاء، ثم رفع رأسه فقال: الرحمن على العرش استوى كما وصف نفسه، ولا يقال كيف؟ وكيف عنه مرفوع، وأنت رجل سوء صاحب بدعة، أخرجوه، قال: فأخرج الرجل. "[34]

قال ابن حجر في هذه الرواية: " إسنادها جيد"[35].

وروى البيهقي كذلك بسنده إلى يحيى بن يحيى قال: " كنا عند مالك بن أنس فجاء رجل فقال: يا أبا عبد الله: "**الرحمن على العرش استوى**" كيف استوى؟ قال: فأطرق مالك رأسه حتى علاه الرحضاء، ثم قال: "الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلا مبتدعا، فأمر به أن يخرج"[36].

وروى مقالة مالك الحافظ أبو نعيم الأصفهاني بسنده إلى جعفر بن عبد الله قال: " كنا عند مالك بن أنس فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله" **الرحمن على العرش استوى**" كيف استوى؟ فما وجد مالك من شيء؛ ما وجد من مسألته، فنظر إلى الأرض، فجعل ينكت بعود في يده وقال: الكيف منه غير معقول، والاستواء منه غير مجهول، الإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأظنك صاحب بدعة، وأمر به فأخرج. " [37]

وبمجموع هذه الروايات والنقول يتبين أن مقالة الإمام مالك رحمه الله في الاستواء ثابتة عنه، وقد قالها فعلا، وصدرت عنه؛ فلم يطعن أحد من أهل العلم في نسبتها إليه، ولم يتعرض أحد للطعن في سندها، ومعظم من ألف في العقيدة عامة، وفي الصفات خاصة يذكرها، وينسبها إليه على وجه الاستحسان لها، والاستدلال بها، والاستشهاد على صحة مذهب مالك في الصفات الإلهية، حتى أصحاب المذاهب الأخرى. ومن الأمثلة على ذلك قول ابن أبي العز الحنفي وهو حنفي المذهب في شرح العقيدة الطحاوية: "الأمر في ذلك كما قال الإمام مالك رحمه الله؛ لما

---

(30) رحض الرجل رحضا: عرق حتى كأنه غسل جسده، والرحضاء العرق مشتق من ذلك. ابن منظور لسان العرب: مادة: "رحض"

(31) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: تفسير سورة الأعراف الآية 53

(32) كشف عنه، وأزيل ما ألم به؛ ابن منظور: لسان العرب مادة: "سرا" ص2004

(33) القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك الجزء 2 ص 39

(34) البيهقي: كتاب الأسماء والصفات: "باب الرحمن على العرش استوى" ص 379

(35) ابن حجر فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ المجلد 13 ص 379

(36) البيهقي: كتاب الأسماء والصفات؛ باب الرحمن على العرش استوى ص 379 وأورد هذه الرواية بألفاظ هذا المتن نفسا، وبالسند نفسه في كتاب الاعتقاد إلى سبيل الرشاد ص 119

(37) أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: المجلد 6 ص 325و 326

سئل عن قوله تعالى: " **ثم استوى على العرش**" كيف استوى؟ فقال: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول. ويروى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفا "[38]

قال الذهبي: " هذا ثابت عن مالك، وتقدم نحوه عن ربيعة شيخ مالك. "[39]

وروي بقريب من مقالة الإمام مالك قول شيخه ربيعة الرأي.

بل قال ابن عبد البر: " قد روينا عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن أنه قال في قوله عز وجل: " **الرحمن على العرش استوى** " مثل قول مالك هذا سواء". [40]

وروى البيهقي بسنده الى ربيعة الرأي أنه سئل عن قول الله تبارك وتعالى:" **الرحمن على العرش استوى**" كيف استوى؟ قال الكيف مجهول، والاستواء غير معقول، ويجب علي وعليك الإيمان بذلك كله. "[41]

وقال ابن حجر: " ومن طريق ربيعة بن عبد الرحمن أنه سئل: كيف استوى على العرش؟ فقال: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، وعلى الله الرسالة، وعلى رسولنا البلاغ، وعلينا التسليم. "[42]

ومن العلماء من نسب إلى أم المؤمنين؛ أم سلمة أنها قالت: "الاستواء معلوم والكيف مجهول والسؤال عنه بدعة " وقد نص على ذلك القرطبي في تفسيره [43]، وابن حجر في الفتح. [44]

المبحث الثالث: استواء الرب سبحانه وتعالى من خلال نصوص القرآن والسنة النبوية

بتتبع آيات القرآن الكريم، وتحديد المواضع التي ورد فيها ذكر استواء الله تعالى يجد المتأمل أن الاستواء قد ورد بسياقين: الأول؛ الاستواء إلى السماء. والثاني؛ الاستواء على العرش.

فأما استواء الله تعالى إلى السماء؛ فقد ورد في موضعين:

الأول: في **سورة البقرة**؛ في قوله تعالى: "**ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات**" [45]

و الثاني: في **سورة فصلت**؛ في قوله تعالى: "**ثم استوى إلى السماء وهي دخان**"[46]

وأما السياق الثاني: وهو استواء الرب جل وعلا على العرش، فقد ورد في سبعة مواضع من القرآن الكريم:

الاول: "**ثم استوى على العرش يغشي الليل النهار يطلبه حثيثا**"[47]

الثاني: "**ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه**"[48]

الثالث: "**الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش**"[49]

الرابع: "**الرحمن على العرش استوى**"[50]

---

(38) ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية: ص 280و281

(39) الذهبي: مختصر العلو: ص 141

(40) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: المجلد 6 ص 130

(41) البيهقي: الاسماء والصفات؛ باب: الرحمن على العرش استوى ص379

(42) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ المجلد 13 ص 491

(43) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن؛ المجلد الرابع، الجزء السابع ص 140 و141

(44) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ المجلد 13 ص 491

(45) سورة البقرة؛ الآية 28

(46) سورة فصلت؛ الآية 10

(47) سورة الأعراف؛ الآية 53

(48) سورة يونس؛ الآية 3

(49) سورة الرعد؛ الآية 2

الخامس: "**الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**"[51]

السادس: "**الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش**"[52]

السابع: "**هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش**"[53]

أما قوله تعالى: "**ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى**" [54]فقد أخبر الله عن جبريل عليه السلام أنه "**ذو مرة**" أي ذو قوة ومنظر حسن؛ وأنه قد استوى بالأفق الأعلى؛ ففي هذا الموضع إخبار من الله تعالى عن استواء جبريل بالأفق الأعلى، وليس المقصود استواء الرب عز وجل، وعلى هذا المعنى جمهور المفسرين؛ قال أبو حيان الأندلسي: "وعلى قول الجمهور "**فاستوى**" أي جبريل في الجو". [55]

وقد جود هذا المعنى وحسنه القرطبي في تفسيره. [56]

فأما معنى استواء الله تعالى إلى السماء، وقد ورد في سورة البقرة وسورة فصلت كما تقدم فمعناه: القصد إلى السماء والإقبال إليها بالخلق والاختراع؛

فقد نقل القرطبي عن سفيان بن عيينة وابن كيسان[57] في قوله تعالى: " **ثم استوى إلى السماء**" أن معناه: قصد إليها بخلقه واختراعه". [58]

وقال ابن كثير: "وهو **الذي خلق لكم ما في الأرض جميعا ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات**" أي قصد إلى السماء؛ والاستواء هنا متضمن معنى القصد والإقبال، لأنه عدي بإلى، "**فسواهن**" أي خلق السماء سبعا. "[59]

وأما السياق الثاني: الذي هو استواء الرب على العرش؛ وهو الذي سئل عنه الإمام مالك، وقال فيه مقالته، وهو موضوع البحث وقيد الدراسة، فقد ثبت بالسنة كما ثبت بالقرآن، ومن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه: إن رحمتي سبقت غضبي.** "[60]

هذا من جملة الأحاديث التي استدل بها العلماء على علو الله تعالى واستوائه على عرشه، ومنهم البيهقي في كتاب الاعتقاد[61] وابن منده في كتاب التوحيد[62]

---

(50) سورة طه؛ الآية 5

(51) سورة الفرقان؛ الآية 59

(52) سورة السجدة؛ الآية 3

(53) سورة الحديد؛ الآية 4

(54) سورة النجم؛ الآية 6

(55) البحر المحيط المجلد 10 ص 10

(56) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن الجزء 17 من الصفحة 57 إلى الصفحة 61

(57) هو أبو الحسن محمد بن أحمد بن كيسان العالم اللغوي النحوي البارع في مختلف أصناف العلوم، المتوفى سنة 299هـ

(58) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن؛ المجلد الأول، الجزء الأول ص 176

(59) ابن كثير تفسير القرآن العظيم، المجلد الأول ص87

(60) أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب التوحيد؛ باب: "وكان عرشه على الماء" "وهو رب العرش العظيم"رقم 7422

(61) البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد: باب القول في الاستواء ص 118

(62) ابن منده: كتاب التوحيد المجلد الثالث رقم الحديث 649 ص 190

المبحث الرابع: المعاني اللغوية للاستواء

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وتتبع كلمة استوى؛ يجد المتأمل أنها أتت في لغة العرب بعدة معان؛ منها: الاعتدال، وبلوغ الأشد، والقصد، والإقبال، والعلو، والاستقرار:

استوى الشيء: اعتدل وتوسط.

واستوى الرجل: بلغ أشده؛ قيل بلغ أربعين سنة، وقيل ثمان وعشرين.

واستوى الأمير إلى بلد كذا: قصد إليها بالاستواء.

واستويت فوق الدابة، وعلى ظهر الدابة: علوته.

واستوى على ظهر دابته: أي استقر.

وكان فلان مقبلا على فلان ثم استوى علي وإلي يشاتمني: أي أقبل إلي وعلي.[63]

أما استوى على الشيء بمعنى استولى؛ فلا يأتي في اللغة إلا مقرونا بالمضادة والمغالبة، والذي يدل على هذا المعنى أن **ابن الأعرابي**[64] أتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عز وجل" **الرحمن على العرش استوى**" قال ابن الأعرابي: هو على عرشه كما أخبر، فقال الرجل: يا أبا عبد الله؛ إنما معناه: استولى. فقال ابن الأعرابي: ما يدريك؟ العرب لا تقول استولى على الشيء حتى يكون له مضاد، فأيهما غلب فقد استولى. "[65]

وينبغي التمييز في إطلاق المعاني اللغوية للاستواء بين إطلاق هذه المعاني في حق الخالق سبحانه، وبين إطلاقها بشأن المخلوق؛ فلا يطلق من المعاني والأوصاف في حقه سبحانه إلا ما يليق مما ورد به النص من كتاب، أو جاءت به السنة الصحيحة، أو أجمعت عليه الأمة، فلا ينبغي تجاوز ذلك والتوسع فيه.

وإلى هذا المعنى أشار أبو بكر بن العربي بقوله: " للاستواء في كلام العرب خمسة عشر وجها ما بين حقيقة ومجاز؛ منها ما يجوز على الله فيكون معنى الآية، ومنها ما لا يجوز بحال؛ وهو إذا كان الاستواء بمعنى التمكين والاستقرار والاتصال والمجاورة، فإن شيئا من ذلك لا يجوز على الباري تعالى، ولا تضرب له الأمثال في المخلوقات. "[66]

المبحث الخامس: في معنى العرش

العرش في المتداول بين الناس من لغة العرب لفظ مشترك يطلق على عدة معان منها: سرير الملك، ويطلق على البيت، وعلى سقفه، وعلى الملك والسلطان، وعلى ما يستظل به، وعلى البناء الذي تطوى به البئر من الخشب حولها، وعرش العنب ما يدعم به شجر العنب من العيدان والخشب، والعروش اسم لبيوت مكة، والعرش كذلك من أسماء مكة نفسها.[67]

---

(63) ابن منظور: لسان العرب: مادة" سوا" ص2163 و2164. الفيروزأبادي: القاموس المحيط: ص 1297. الراغب الأصفهاني: المفردات: ص 439و 440

(64) هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي إمام زمانه في اللغة ولد سنة 150هـ وتوفي بالكوفة سنة 231هـ، له عدة مصنفات في اللغة والشعر

(65) ابن منظور: لسان العرب: مادة" سوا" ص 2164

(66) ابن العربي: المسالك في شرح موطأ مالك: المجلد 3 ص 452

(67) ابن منظور: لسان العرب مادة: "عرش "من ص 2880 إلى ص 2883. الراغب الأصفهاني: المفردات مادة عرش ص552. القرطبي: الجامع لأحكام القرآن المجلد 4 الجزء 7 ص 140.

أما موضوع السؤال الذي طرحه الرجل، وأجاب عنه الإمام مالك رحمه الله بمقالته فهو استواء الرب جل وعلا على عرشه، والدليل على ذلك أنه قدم سؤاله بقوله تعالى: "**الرحمن على العرش استوى**" ثم قال بعدها: كيف استوى؟ فقد كان سؤاله بخصوص استواء الله تعالى على العرش:

فقد ذهب الألوسي إلى أنه الجسم المحيط بسائر الأجسام، وهو فلك الأفلاك، وسمي بالعرش إما لارتفاعه، أو لتشبيهه بسرير الملك. [68]

وذهب قوم إلى أنه الفلك الأعلى[69].

وأقرب الأقوال في عرش الرحمن سبحانه أنه؛ مما لا يعلمه البشر على الحقيقة إلا بالاسم، وليس هو كما تذهب إليه أوهام العامة؛ فإنه لو كان كذلك لكان حاملا له – تعالى عن ذلك-لا محمولا، والله تعالى يقول "**إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده**"[70]-[71]

وقد وصف الله تعالى العرش بالعظمة في قوله: " **عليه توكلت وهو رب العرش العظيم**"[72] وفي قوله: "**الله لا اله إلا هو رب العرش العظيم**"[73] وغير ذلك من الآيات.

وأخبر سبحانه وتعالى أن للعرش حملة من الملائكة بقوله. " **الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم**"[74] وبقوله كذلك: "**ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية**"[75]

كما أخبر أن الملائكة تحف من حوله، وتسبح بقوله: "**وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم**"[76]

و أنه فوق الماء بقوله: " **وكان عرشه على الماء**"[77]

وللعرش ظل كما ثبت في السنة في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "**سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله**"[78] الحديث. فالمعنى أنهم تحت ظل عرش الرحمن يوم القيامة ناجون من أهوال وكرب يومئذ.

و تجدر الإشارة إلى أن العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى كما هو معلوم عند المسلمين قال ابن بطال في قوله تعالى: "**رب العرش العظيم**": العرش مربوب؛ وكل مربوب مخلوق، خلافا لمن زعم من الفلاسفة أن العرش لم يزل مع الله تعالى، وأنه هو الخالق الصانع، وهو مذهب باطل"[79]

---

(68) الألوسي روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: تفسير الآية 53 من سورة الأعراف

(69) الراغب الأصفهاني: المفردات:؛ ص552. لم يعين الراغب الأصفهاني أصحاب هذا القول

(70) سورة فاطر الآية 41

(71) المفردات ص 552

(72) سورة التوبة الآية 130

(73) سورة النمل الآية 26

(74) سورة غافر الآية 6

(75) سورة الحاقة الآية 16

(76) سورة الزمر الآية 72

(77) سورة هود الآية 7

(78) حديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب الآذان؛ باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة. وأخرجه مسلم في صحيحه؛ في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة. قال الذهبي: " قد ورد في ظل العرش أحاديث تبلغ التواتر" مختصر العلو ص 105

(79) ابن بطال: شرح صحيح البخاري المجلد العاشر ص 447

المبحث السادس: قول الإمام مالك الاستواء غير مجهول

بتأمل الروايات الواردة عن الإمام مالك في إخباره عن الاستواء يتضح أنها جاءت بألفاظ مختلفة: "**الاستواء معقول**"، "**الاستواء غير مجهول**"، "**الاستواء معلوم**" وأكثر الروايات وردت بعبارة الاستواء غير مجهول، وعند النظر في هذه العبارات يتبين أن الاختلاف بينها إنما هو من اختلاف التنوع لا من اختلاف التضاد، فلا تعارض في المعاني التي تحملها وإن اختلفت مبانيها فكلها؛ عبارات تدل على إثبات الإمام مالك رحمه الله تعالى الاستواء صفة لله تعالى على ما يليق به سبحانه.

وهذا ما أثبته السادة المالكية، وفحول المذهب وعلى رأسهم الإمام **أبو الحسن الأشعري**؛ قال رحمه الله: "و نقول: إن الله عز وجل يستوي على عرشه استواء يليق به"[80] وأول آية استدل بها على إثبات استواء الله تعالى هي قوله سبحانه: "**الرحمن على العرش استوى**" هذا الصريح من قوله؛ وهو الذي نقله عنه الأئمة من بعده، فقد حكى عنه القرطبي أنه قال: " أثبته مستويا على عرشه، وأنفي كل استواء يوجب حدوثه. "[81] وسار على هذا القول ومضى أكابر المذهب ومحققوه:

قال ابن أبي زيد القيرواني: " على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وله الأسماء الحسنى والصفات العلى"[82]

وقال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي: " اعلم أن الوصف له تعالى بالاستواء؛ اتباع للنص وتسليم للشرع، وتصديق لما وصف نفسه تعالى به"[83]

وقال ابن عبد البر: "فظاهر التنزيل يشهد أنه على العرش. "[84]

وقال القرطبي: " لم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى عرشه حقيقة. "[85]

وهذا الذي كان عليه مالك رحمه الله تعالى من إثبات استواء الرب جل وعلا هو الذي كان عليه الصحابة رضي الله عنهم والتابعون، ثم أتباع التابعين من بعدهم الذين هم أقران مالك ومعاصروه. "فقد أخرج البيهقي بسند جيد عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله على عرشه، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته"[86]

وقد فسر أبو بكر بن العربي قول الإمام مالك الاستواء معلوم بأن معناه قد ورد في اللغة، حيث يفهم معنى الاستواء من جهة الخطاب اللغوي الذي يتخاطب به الناس[87]

المبحث السابع: بطلان ما ذهب إليه المعتزلة من تأويل استواء الرب بالاستيلاء

نقل القرطبي عن أبي بكر المرادي[88] القيرواني اختلاف الناس في تحديد معنى الاستواء على عشرة أقوال، وأضاف إليها القرطبي أربعة أقوال، فتحصل مجموع ذلك أربعة عشر قولا؛ رد وضعف أقوالا منها، وانتقد بعضها[89].

---

(80) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة: باب ذكر الاستواء على العرش ص 105

(81) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى؛ المجد الثاني ص 122 باب ما جاء في الاستواء على العرش

(82) ابن أبي زيد القيرواني: الرسالة: ص 18

(83) القاضي عبد الوهاب البغدادي: شرح عقيدة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ص 28

(84) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد المجلد 6 ص 127

(85) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن: المجلد 4 الجزء 7 ص 140 و141

(86) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري: المجلد 13 ص491

(87) أبو بكر بن العربي: المسالك في شرح موطأ مالك: المجلد الثالث ص 452

وأكثر الأقوال التي لقيت الرد والرفض عند أهل السنة ما ذهب إليه المعتزلة من تأويل الاستواء بالاستيلاء:

قال القاضي عبد الجبار المعتزلي[90]: " يجب أن **نتأول** ما ذكر من **الآي**، فتأويل قوله تعالى" **ثم استوى على العرش**" أنه اقتدر وملك، لم يرد تعالى بذلك أنه تمكن على العرش جالسا، وهذا كما يقال في اللغة استوى البلد للأمير، واستوت هذه المملكة لفلان وقال الشاعر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق لم يرد جلوسه؛ وإنما أراد **استيلاءه** واستعلاءه"[91]

قال أبو الحسن الأشعري ردا على المعتزلة: " قد قال قائلون من المعتزلة إن معنى قول الله تعالى: "**الرحمن على العرش استوى**" أنه **استولى** وملك وقهر، وأن الله تعالى في كل مكان، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه؛ كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة"[92]

وقد احتج أهل السنة على فساد وبطلان مذهب المعتزلة في الاستواء بجملة من الاستدلالات منها:

الأول: قول ابن الأعرابي أن استوى لا يأتي في اللغة بمعنى استولى إلا مقرونا بالمضادة والمغالبة والقهر؛ فأي المتضادين غلب الآخر وقهره يقال استولى؛ وهذا المعنى لا يجوز في حق الله تعالى، لأنه سبحانه لا مضاد له، ولا مغالب له، والكل تحت غلبته وقهره وسلطانه. [93]

الثاني: لو كان الاستواء بمعنى الاستيلاء صحيحا للزم أن يكون مستويا على العرش، وعلى الأرض والسماء، وعلى الأماكن التي لا تليق كالحشوش والأخلية – تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- لأنه غالب وقادر على الأشياء كلها، فلا يجوز أن يكون الاستواء على العرش بمعنى الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معنى الاستواء يختص بالعرش دون غيره من الأشياء[94].

الثالث: يلزم تأويل الاستواء بالاستيلاء **قدم** وجود المستولى عليه الذي هو العرش، وعدم تقدم وجوده سبحانه قبل كل شيء، ولا يخفى ما في هذا من البطلان[95].

الرابع: يقتضي هذا التأويل أن العرش لم يكن في ملك الله تعالى، ثم استولى عليه وملكه، لأن العرب تقول: استولى فلان على كذا إذا لم يكن في ملكه ثم ملكه واستولى عليه، والله لم يزل مالكا للأشياء كلها ومستول عليها[96].

الخامس: أن ادعاء المجاز في قوله تعالى "استوى على العرش" وحمله على معنى الاستيلاء غير ظاهر في اللغة خاصة وأن معنى الاستيلاء في لغة العرب يتضمن المغالبة، والله لا يغالبه ولا يعلوه أحد، فوجب أن يحمل الكلام على حقيقته حتى تتفق الأمة على أنه أريد به المجاز، فلو ساغ ادعاء المجاز لكل مدع ما ثبت شيء من العبارات، والله عز وجل منزه أن يخاطب المكلفين إلا بما تفهمه العرب في معهود مخاطباتها مما يصح معناه عند السامعين[97].

---

(88) هو أبو بكر محمد بن الحسين المرادي الحضرمي القيرواني الأصل كان رجلا نبيلا عالما بالفقه وإماما في أصول الدين دخل قرطبة سنة487 وتوفي سنة 489هـ

(89) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى: المجلد الثاني ص122

(90) هو أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن الخليل من كبار المعتزلة وأئمتهم توفي سنة 415هـ

(91) القاضي عبد الجبار: المختصر في أصول الدين ص 216و217

(92) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص 108

(93) القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى ص133

(94) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص 108و 109

(95) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: تفسير الآية 49 من سورة البقرة

(96) الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني: تفسير الآية 54 من سورة الأعراف

(97) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص 125

السادس: أن ابن أبي دؤاد القاضي المعتزلي طلب من ابن الأعرابي اللغوي الكبير الشهير أن يجد له في لغة العرب؛ استوى بمعنى استولى. فقال ابن الأعرابي: " والله ما أصبت هذا"[98]

السابع: ما احتج به المعتزلة من الشعر وهو قولهم: قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[99]

فهذا البيت لا يعرف لأحد من الشعراء؛ بل هو مصنوع مختلق، ولم أر في حدود اطلاعي أحدا من الأئمة، ولا من أهل اللغة من نسبه إلى أحد من الشعراء.

ولهذا قال ابن بطال: "فأما من جعل الاستواء بمعنى القهر والاستيلاء فقول فاسد، لأن الله تعالى لم يزل قاهرا غالبا مستوليا [100]. "

و قال ابن حجر: " لازم تأويلهم أنه كان مغالبا فيه-أي العرش- فاستولى عليه بقهر من غالبه؛ وهذا منتف عن الله سبحانه"[101]

المبحث الثامن: الله تعالى في السماء مستو على عرشه وليس في كل مكان

أثبت أهل السنة علو الله تعالى فوق سمواته، واستواءه على عرشه استواء يليق به، ولا تعارض ولا تناقض بين الأخبار الواردة في نصوص القرآن والسنة أنه مستو على عرشه، وبين الأخبار الواردة في القرآن والسنة أنه فوق سمواته.

قال الإمام أو الحسن الأشعري رحمه الله: " فالسموات فوقها العرش؛ فلما كان العرش فوق السموات قال: " **أأمنتم من في السماء**"[102] لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات، وكل ما علا فهو سماء والعرش أعلى السموات وليس إذ قال "**أأمنتم من في السماء**" يعني جميع السموات؛ وإنما أراد العرش الذي هو أعلى السموات، ألا ترى الله تعالى ذكر السموات فقال: "**وجعل القمر فيهن نورا**"[103] ولم يرد أن القمر يملؤهن جميعا، وأنه فيهن جميعا. "[104]

و قال أبو عمر ابن عبد البر: " وأما قوله تعالى: " **أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض**" فمعناه من على السماء يعني العرش"[105]

و قد استدل أهل السنة بجملة من الأدلة على أن الله تعالى فوق سمواته مستو على عرشه، وأنه ليس في كل مكان، ومن الأدلة على ذلك ما تقدم من الآيات الواردة في الاستواء، ومنها ما ورد في علو الله تعالى؛ كقوله سبحانه: " **سبح اسم ربك الأعلى**"[106] وقوله: " **العلي العظيم**"[107] وقوله: " **الكبير المتعال**"[108] وقوله: "**يخافون ربهم من**

---

(98) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري الجزء 13 ص490

(99) لم أقف على اسم قائله، ولم يعز إلى أحد من الشعراء

(100) ابن بطال: شرح صحيح البخاري المجلد العاشر ص 447و 448

(101) ابن حجر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري المجلد 13 ص 490

(102) سورة الملك؛ الآية 16

(103) سورة نوح؛ الآية16

(104) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص 106و 107

(105) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص 125

(106) سورة الأعلى؛ الآية 1

(107) سورة الشورى الآية 2

(108) سورة الرعد الآية 10

فوقهم"[109] وقوله تعالى لعيسى بن مريم: " **إني متوفيك ورافعك إلي**"[110] وقوله فيه أيضا: "**بل رفعه إليه**"[111] فلا يكون الرفع إلا من أسفل إلى أعلى؛ ولهذا قال الإمام أبو الحسن الأشعري: " أجمعت الأمة على أن الله سبحانه رفع عيسى صلى الله عليه وسلم إلى السماء" وقوله: " **تعرج الملائكة والروح إليه**"[112] وقوله: "**ليس له دافع من الله ذي المعارج**"[113] قال ابن عبد البر: " العروج هو الصعود"[114] وقوله تعالى في شأن الفرعون: " **وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات فأطلع إلى اله موسى وإني لأظنه كاذبا**"[115] قال ابن عبد البر: "فدل على أن موسى عليه السلام كان يقول إلهي في السماء، وفرعون يظنه كاذبا"[116] وبقوله تعالى: **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**"[117] وإنما يكون الصعود والرفع من أسفل إلى أعلى.

و أما الأدلة من السنة النبوية على إثبات علو الله سبحانه، وأنه ليس في كل مكان؛ فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "**ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحا ومساء**"[118] ولهذا قال الإمام مالك: الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء"[119]

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: " كانت زينب تفخر على أزوج النبي صلى الله عليه وسلم تقول: **زوجكن أهليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات**"[120].

وفي حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: "**كانت لي غنم بين أحد والجوانية فيها جارية لي، فأطلقتها ذات يوم، فإذا الذئب قد ذهب منها بشاة، - وأنا رجل من بني آدم – فأسفت فصككتها، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فعظم ذلك علي، فقلت: يا رسول الله أفلا أعتقها؟ قال: ادعها، فدعوتها؛ فقال لها أين الله؟ قالت: في السماء، قال من أنا؟ قالت: أنت رسول الله ﷺ قال: أعتقها فإنها مؤمنة**"[121]

قال الإمام أبو الحسن الأشعري: "هذا يدل على أن الله تعالى على عرشه فوق السماء، فوقية لا تزيده قربا من العرش"[122]

و قال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي: " قالت-الجارية- في السماء فلم ينكر عليها، وحكم بإيمانها"[123]

---

(109) سورة النحل الآية 50

(110) سورة آل عمران الآية 54

(111) سورة النساء الآية157

(112) سورة المعارج الآية 4

(113) سورة المعارج الآية 3

(114) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص 125

(115) سورة غافر الآية 35و36

(116) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص 126و127

(117) سورة فاطر الآية 10

(118) حديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه؛ كتاب المغازي؛ باب بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن رقم 4351، وأخرجه مسلم في صحيحه؛ كتاب الزكاة باب ذكر الخوارج ووصفهم رقم 2452

(119) قال الألباني: سنده صحيح واحتج به الإمام أحمد في رواية الآجري. مختصر العلو ص 140

(120) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب التوحيد، باب: وكان عرشه على الماء رقم 7420

(121) أخرجه الإمام مالك في الموطأ؛ كتاب العتق والولاء؛ باب ما يجوز من العتق في الرقبة الواجبة. وأخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة؛ باب تحريم الكلام في الصلاة، ونسخ ما كان من إباحته

(122) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص 119

(123) القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي: شرح عقيدة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ص28

و قال ابن عبد البر: " اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم برفع رأسها إلى السماء، واستغنى بذلك عما سواه"[124]

واحتج أهل السنة بإجماع المسلمين عند دعائهم واستغاثتهم عند نزول الكرب بهم، وتضرعهم أنهم يرفعون أيديهم نحو السماء دون وضعها على الأرض، وتشرئب وجوههم نحو الأعلى.

قال الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله: " ورأينا المسلمين جميعا يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله تعالى مستو على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش، كما لا يحطونها إذا دعوا إلى الأرض[125]، فكل ذلك يدل على أنه تعالى في السماء مستو على عرشه، والسماء بإجماع الناس ليست الأرض فدل على أنه تعالى منفرد بوحدانيته مستو على عرشه استواء منزها عن الحلول والاتحاد. "[126]

و قال القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي: "إجماع الأمة على أنا متعبدون في الدعاء برفع أيدينا في جهة العلو دون السفل، ودون اليمين والشمال، وسائر الجهات وهذا ينفي أن يكون في كل مكان. "[127]

وقال أبو عمر بن عبد البر: "ومن الحجة أيضا في أنه عز وجل على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعوا وجوههم إلى السماء يستغيثون ربهم تبارك وتعالى؛ وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطرار لم يؤنبهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم. "[128]

وذهب الجهمية ومن تبعهم من المعتزلة إلى أن الله في كل مكان بذاته- تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا- واستدلوا على مذهبهم الباطل بقوله تعالى: " **هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله**"[129] وبقوله: **إن الله مع الذين اتقوا**"[130] وبقوله: **" ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**"[131]

وقد رد أهل السنة على شبه الجهمية والمعتزلة، وعلى مذهبهم الباطل بأن قوله تعالى: "**هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله** " معناه معبود في السماء ومعبود في الأرض، وليس المعنى أنه حال فيهما بذاته، تعالى الله عن ذلك، وعلى هذا المعنى أهل التفسير.

وأما قوله تعالى: " **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون**" فقد فسر أهل السنة المعية في هذه الآية وغيرها من الآيات بأن الله تعالى مع خلقه بالعلم والحياطة والحفظ، لا أنه معهم بذاته.

وكذلك قوله تعالى: "**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**" فهو سبحانه معهم بعلمه لا بذاته.

قال ابن أبي زيد القيرواني: " وأنه فوق عرشه المجيد بذاته، وهو في كل مكان بعلمه"[132]

---

(124) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ص 127

(125) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص 107

(126) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص 113

(127) القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي: شرح عقيدة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ص 26

(128) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص 127

(129) سورة الزخرف الآية 84

(130) سورة النحل الآية 128

(131) سورة المجادلة الآية 7

(132) ابن أبي زيد القيرواني: الرسالة ص 18

وقال القاضي عبد الوهاب المالكي: " ولا يعترض على هذا بقوله تعالى: "**هو الذي في السماء اله وفي الأرض اله**" لأنه إله في الموضعين، وذلك لا يوجب كونه في كل موضع فيه إلها " وكذلك قوله تعالى. " **إن الله مع الذين اتقوا**"معناه بالرعاية والحفظ والحياطة لا أن ذاته معهم. ونحو ذلك قوله تعالى: " **ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم**" معناه أنه لا يخفى عليه شيء يكون في ملكه، بل يعلم جميعه، وهذا يدل على ما قاله رحمه الله[133] أنه عز وجل يوصف بأنه في كل مكان بعلمه على معنى العلم"[134]

قال ابن عبد البر: " وأما احتجاجهم بقوله عز وجل: "**ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا**" فلا حجة لهم في ظاهر هذه الآية؛ لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حملت عنهم التأويل في القرآن قالوا في تأويل هذه الآية هو على العرش، وعلمه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحد يحتج بقوله. "[135]

و أما قوله في الآية الأخرى: " **وفي الأرض إله**" فالإجماع والاتفاق قد بين المراد بأنه معبود من أهل الأرض، فتدبر هذا فانه قاطع إن شاء الله. "[136]

وأما قول الجهمية بأن إثبات استوائه وعلوه يستلزم إحاطة الأمكنة به واحتواء المخلوق له فشيء لا يلزم ولا معنى له، لأنه سبحانه ليس كمثله شيء، ولا يمكن أن يقاس بشيء من خلقه ولا يدرك سبحانه بقياس، فقد كان قبل كل شيء، ثم خلق الأمكنة، والسموات والأرض والعرش، وهو باق بعد كل شيء"[137]

المبحث التاسع: كيفية استواء الله تعالى على عرشه من الحقائق الغيبية التي لا يعلمها إلا الله، والسؤال عنها بدعة

كان السائل الذي وفد على الإمام مالك من العراق؛ كما ثبت في رواية ابن عبد البر، وكما ثبت في رواية سفيان بن عيينة عند القاضي عياض.

وكان سؤاله عن كيفية استواء الرب جل وعلا، ومن المعلوم عند أهل السنة ثبوت الاستواء بالأدلة القطعية، لكن لم يرد الإخبار عن كيفيته، فلم يخبر عن ذلك القرآن، ولا أخبرت السنة بذلك ولم يصدر عن الصحابة رضي الله عنهم السؤال عن كيفيته، وعلى هذا مضى التابعون؛ إذ أن كيفيات صفات الباري من الغيبيات التي لا سبيل للخلق إلى معرفتها؛ فهي مما استأثر الله تعالى بعلمه، فلم يطلع عليها أحدا من عباده.

فوجب على المسلم الإقرار والإيمان والتسليم باستواء الباري جل وعلا من غير خوض في تكييف ولا تمثيل ولا تحديد، وعدم العلم بكيفية الاستواء لا يستلزم أنه غير مستو على عرشه، لذا كان جواب الإمام مالك رحمه الله: " **والكيف مجهول**"

قال أبو الحسن الأشعري رحمه الله: " كل ذلك يدل على أنه تعالى ليس في خلقه، ولا خلقه فيه، وأنه مستو على عرشه سبحانه بلا كيف"[138]

---

(133) القاضي عبد الوهاب المالكي: يقصد كلام ابن أبي زيد القيرواني في كتاب: الرسالة

(134) القاضي عبد الوهاب المالكي: شرح عقيدة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ص 28

(135) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص133

(136) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص127

(137) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص128

(138) أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة ص 116و117

وقال القاضي عبد الوهاب البغدادي: "ولا يجوز أن يثبت له كيفية، لأن الشرع لم يرد بذلك، ولا أخبر النبي صلى الله عليه وسلم فيه بشيء ولا سألته الصحابة عنه. "[139]

وقال ابن عبد البر: " أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز، إلا أنهم لا يكيفون شيئا من ذلك، ولا يحدون في صفة. "[140]

وقال القرطبي: " وإنما جهلوا كيفية الاستواء، فانه لا تعلم حقيقته، قال مالك رحمه الله، الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عن هذا بدعة. "[141]

وأما قول الإمام مالك رحمه الله "**و السؤال عنه بدعة**"[142] فمعناه أنه سؤال لا يسأل، ولا ينبغي على المسلم طرحه، فلا يسأل عن الصفات بكيف؛ إذ أن كيفيات الصفات غيب مجهول، والسؤال عن ذلك لم يصدر عن أحد من الصحابة، ثم التابعين من بعدهم، حتى صدر عن هذا الرجل في مدينة رسول الله ﷺ، وأمام إمام دار الهجرة وعالمها.

وكأن الإمام مالك رحمه الله استشعر بهذا السؤال فتنة في الدين قد أطلت برأسها، وقد وجد من هذا السؤال موجدة عظيمة، فسكت متأثرا، وقد رحض[143] عرقا، ولم يجب على الفور.

ومذهبه رحمه الله مشهور معروف في أصحاب البدع، وأهل الجدال والخصومات، وهو الرد لرواياتهم، وعدم قبول شهادتهم؛ سواء كانوا دعاة إلى بدعهم، أو غير دعاة، وترك مجالستهم، وعدم السماع والتلقي عنهم، والحذر منهم من الفتنة في الدين على النفس والأهل والأولاد، لذا أمر رحمة الله عليه بصرف هذا الرجل، وإخراجه من مجلسه.

وقد نقل عنه رحمه الله أنه قال، "كلما جاءنا رجل أجدل من رجل تركنا ما نزل به جبرائيل لجدله. "[144]

وقد كان مقصده رحمه الله حماية عقيدة التوحيد والدفاع عنها وسد كل ذريعة إلى الخوض في ذات الله والتقول في صفاته، وصد كل الآراء المخترعة، والأقوال المبتدعة، وهذا واجبه في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو إمامها والمحدث والمفتي فيها حينئذ.

الخاتمة:

1. ولد الإمام مالك رحمه الله بالمدينة المنورة سنة ثلاث وتسعين للهجرة على الأرجح وهو عربي صحيح النسب.
2. اشتهرت المدينة زمن الإمام مالك بكونها منارة لفهم كتاب الله تعالى ومدارسة سنته ومنهلا لآثار الصحابة والتابعين، ومقرا للفقه والاستنباط، ولهذا لازمها الإمام مالك، واتخذ منها موطنا، فكان لا يبارحها إلا من أجل أداء مناسك الحج.

---

(139) القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي: شرح عقيدة أبي محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني ص 28

(140) ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد؛ المجلد 6 ص 135

(141) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن المجلد 4 الجزء 7 ص 141

(142) قال الشاطبي: " البدعة طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية، ويقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه. " كتاب الاعتصام ص 23. وقال أبو بكر الطرطوشي: " أصل هذه الكلمة من الاختراع؛ وهو الشيء المحدث من غير أصل سبق، ولا مثال احتدي" الباعث على إنكار البدع والحوادث ص 13

(143) رحض الرجل رحضا: عرق حتى كأنه غسل جسده. ابن منظور: لسان العرب؛ مادة رحض

(144) قال محمد ناصر الدين الألباني؛ في مختصر العلو، رواه ابن عبد البر في الجامع، وأخرجه الهروي في ذم الكلام، وسنده صحيح: مختصر العلو ص 140

3. أخذ رحمه الله العلم عن أعلام التابعين؛ كنافع مولى ابن عمر، وابن شهاب الزهري، وعبد الرحمن بن هرمز، وربيعة الرأي.
4. عرف الإمام مالك بتحريه وشدة انتقاده للرجال، فكان لا يأخذ الحديث إلا عن الثقات ولا يروي إلا عنهم.
5. مما يدل على نبوغ الإمام مالك رحمه الله رواية شيوخه وأقرانه عنه في حياته.
6. جمع رحمه الله تعالى بين الإمامة في الحديث والإمامة في الفقه فانتهى إليه التحديث والإفتاء بالمسجد النبوي، فكان الأئمة وطلاب العلم يرحلون للقائه ومشافهته والأخذ عنه من مختلف البلدان ومنهم الإمام الشافعي، وكان رحمه الله مهابا عند الخلفاء والعامة.
7. من أجل مآثره كتاب الموطأ الذي قال فيه العلماء أنه أصح الكتب بعد كتاب الله تعالى.
8. انشطرت حياة الإمام مالك بين عصرين: عصر الخلافة الأموية؛ وبلغ عمره عند سقوطها أربعين سنة، وعاش أكثر من نصف عمره الآخر تحت الخلافة العباسية.
9. شهد عصر الإمام مالك جملة من النزاعات الفكرية، والآراء الاعتقادية المتباينة مع توسع الدولة الإسلامية، واختلاط الحضارة الإسلامية بالحضارات غير العربية كالحضارة الهندية والفارسية، كما انتشرت في هذا العصر عدة فرق اعتقادية كالقدرية والمرجئة وأخرى اعتقادية سياسية كالشيعة والخوارج.
10. كان نشاط الفرق وأصحاب الآراء الاعتقادية في العراق- وما جاوره- أكثر من غيره من البلدان لقربه واتصاله بالحضارات غير العربية، وكان الإمام مالك في المدينة المنورة بعيدا عن هذا كله، لكن كان على علم به.
11. كان موطن الرجل الذي وفد على الإمام مالك يسأله عن كيفية استواء الرب جل وعلا من العراق.
12. عرف الإمام مالك رحمه الله بكرهه للجدال والمراء في الدين وكفه عن الخوض في ذات الله تعالى وصفاته.
13. انتشرت مقالة الإمام مالك وانتشرت ولقيت القبول والاستحسان عند العامة والخاصة.
14. مقالته رحمه الله ثابتة عنه، ولا مطعن لأحد في نسبتها إليه، أو ثبوتها عنه فقد قالها فعلا وصدرت عنه من غير شك، لذا يكتفي العلماء بشهرتها، ويحتج بها حتى أصحاب المذاهب الأخرى المعتبرة.
15. اختلاف ألفاظ الروايات في جواب الإمام مالك ليس من اختلاف التضاد، وإنما هو من اختلاف التنوع.
16. بقريب من مقالة الإمام مالك يروى عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: " الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والسؤال عنه بدعة. "، وكذا روي عن ربيعة الرأي؛ شيخ الإمام مالك.
17. ورد ذكر استواء الرب جل وعلا في القرآن الكريم بسياقين؛ الأول: الاستواء إلى السماء في موضعين من الكتاب العزيز، ومعناه فيهما: القصد والإقبال إلى السماء بالخلق والاختراع. وأما الثاني: فهو الاستواء على العرش، وهو الذي سئل عنه الإمام مالك؛ وقد ورد في سبعة مواضع من القرآن.
18. أما قوله تعالى في سورة النجم" **ذو مرة فاستوى وهو بالأفق الأعلى**" فإخبار من الله عز وجل عن جبريل أنه ذو قوة ومنظر حسن وأنه استوى بالأفق الأعلى.
19. تعددت المعاني اللغوية للاستواء؛ فمنها ما يصح إطلاقه في حق الرب جل وعلا، ومنها مالا يصح. فمما يصح إطلاقه من المعاني: العلو والارتفاع، فقد قال أبو العالية: استوى إلى السماء: ارتفع. وقال مجاهد: استوى: علا على العرش[145]. ومما لا يصح إطلاقه من المعاني: الاستقرار والتمكين، وإلى هذا أشار أبو بكر بن العربي.
20. يطلق العرش في اللغة العربية على عدة معان، وأقرب الأقوال في عرش الرحمن أنه مما لا يعلمه البشر ولا يمكن إدراكه على الحقيقة إلا بالاسم، وليس الأمر كما تذهب إليه أوهام العامة.

(145) البخاري: صحيح البخاري: كتاب التوحيد باب؛ وكان عرشه على الماء

21. وصف الله تعالى العرش في القرآن بجملة من الأوصاف منها العظمة والمجد[146] وأخبر أن له ملائكة تحف به، وملائكة تحمله، وأنه فوق الماء، وورد في السنة أن له ظل سيظل الله به أصنافا من عباده المؤمنين الصالحين يوم القيامة، ويقيهم بظل عرشه من كرب ذلك اليوم. ولا اختلاف بين العلماء في كون العرش مخلوق من مخلوقات الله تعالى.
22. في قول الإمام مالك رحمه الله: "**الاستواء غير مجهول**" إثبات الاستواء صفة للرب جل وعلا؛ استواء يليق به سبحانه، وعلى هذا فحول المذهب ومتقدموه، وعلى رأسهم الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله. وهو المذهب الذي كان عليه المتقدمون من الصحابة والتابعين، ومن سار على نهجهم.
23. أفاد أبو بكر بن العربي أن قول الإمام مالك"**الاستواء معلوم**" أن معناه قد ورد في اللغة بحيث يفهم معناه من جهة الخطاب اللغوي الذي يتخاطب به الناس.
24. من أقبح الأقوال في تحديد معنى الاستواء؛ تأويل المعتزلة له بالاستيلاء، وقد رد أهل السنة هذا التأويل، وعدوه من التأويل المذموم الذي لا يليق وصف الرب جل وعلا به.
25. بين أهل السنة أن الله تعالى في السماء مستو على عرشه استواء يليق به، وليس في كل مكان بذاته كما ادعت الجهمية، وأن المعية الواردة في نصوص القرآن الكريم إنما هي معية بالعلم والحفظ والرعاية، وليست معية بالذات، ويؤكد هذا قول الإمام مالك: **الاستواء معلوم**" وقوله" **الله في السماء وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء**. "
26. قول الإمام مالك رحمه الله: " **الكيف مجهول**" إشارة منه أن كيفية الاستواء وغيره من صفات الرب جل وعلا من الأمور الغيبية التي استأثر الله تعالى بعلمه ولم يطلع عليها أحدا من خلقه.
27. قوله رحمه الله و"**السؤال عنه بدعة**" دليل على أن السؤال عن ذات الله تعالى وكيفيات صفاته من البدع ومحدثات الأمور التي لا ينبغي للمسلم الخوض فيها.
28. تأثر الإمام مالك إزاء سؤال هذا الرجل العراقي تأثرا بالغا- جعله يتصبب عرقا- دليل على تقوى الإمام مالك وورعه وتعظيمه للمولى عز وجل.
29. في صرف الإمام مالك لهذا الرجل والأمر بإخراجه سد لذرائع الفتنة وكف لمنافذ الابتداع في الدين، وصيانة لعقيدة التوحيد في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي هو إمامها والمفتي فيها.

قائمة المصادر والمراجع

- ابن أبي العز الحنفي: شرح العقيدة الطحاوية، المكتب الإسلامي بيروت؛ ط التاسعة 1407هـ-1988م.
- ابن أبي زيد القيرواني: أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الرسالة، ط دار الفضيلة، تحقيق: أحمد مصطفى قاسم الطهطاوي.
- ابن الصلاح: علوم الحديث، تحقيق: د نور الدين عتر: دار الفكر: ط الثالثة؛ 1423هـ-2002م.
- ابن بطال: شرح صحيح البخاري، تحقيق: أبو تميم ياسر؛ مكتبة الرشاد؛ الرياض.
- ابن حجر العسقلاني: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الحديث القاهرة؛ ط الأولى 1419هـ- 1998م.

(146) على قراءة الخفض في قوله تعالى: " **ذو العرش المجيد**"سورة البروج الآية 15؛ حيث يكون "**المجيد**" وصفا للعرش على قراءة الخفض

- ابن عبد البر: الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء؛ مالك والشافعي وأبي حنيفة، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة؛ دار البشائر الإسلامية؛ بيروت لبنان: ط الأولى 1417هـ- 1997م.
- ابن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق أسامة بن إبراهيم؛ ط الرابعة؛ 1429هـ-2008م.
- ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، مكتب الوحدة العربية، ط الأولى؛ 1419هـ 1999م.
- ابن منده: كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته، تحقيق: د علي الفقيهي؛ ط الأولى 1413هـ؛ المدينة المنورة.
- ابن منظور: لسان العرب، دار المعارف؛ الطبعة الثالثة.
- أبو الحسن الأشعري: الإبانة عن أصول الديانة، تقديم وتحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود؛ ط الثانية 1987: م دار الكتاب للنشر والتوزيع القاهرة.
- أبو بكر الطرطوشي: الباعث على إنكار البدع والحوادث، نشر وتصحيح: محمد فؤاد منعارة الطرابلسي.
- أبو بكر بن العربي المعافري: المسالك في شرح موطأ مالك دار الغرب الإسلامي؛ ط الأولى؛ 1428هـ-2007م.
- أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط في التفسير، دار الفكر: بيروت لبنان: 1432هـ- 2010م.
- أبو نعيم الأصفهاني: حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الفكر للطباعة؛ 1416هـ-1996 م.
- الألوسي: روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، ط: دار إحياء التراث العربي؛ بيروت.
- البخاري: صحيح البخاري، الطبعة الأولى؛ الرياض: 1417هـ-1997م.
- البيهقي: الأسماء والصفات، تحقيق وتعليق؛ زاهد الكوثري؛ ط المكتبة الأزهرية للتراث.
- البيهقي: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، تحقيق أحمد بن إبراهيم أبو العينين؛ دار الفضيلة؛ ط الأولى 1420هـ – 1999م.
- الذهبي: كتاب العلو للعلي الغفار، اختصار وتحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى 1401هـ 1981م.
- الراغب الأصفهاني: المفردات، تحقيق: محمد سيد كيلاني؛ ط دار المعرفة، بيروت لبنان.
- الشاطبي: الاعتصام، تحقيق محمود طعمة حلبي؛ دار المعرفة، بيروت لبنان.
- الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تحقيق: مكتب التراث؛ مؤسسة الرسالة؛ ط الثامنة 1426هـ – 2005م.
- القاضي عبد الوهاب البغدادي المالكي: شرح عقيدة عبد الله بن أبي زيد القيرواني ضبط وتحقيق: محمد بوخبزة التطواني؛ ط دار الكتب العلمية؛ ط الأولى 1423هـ-2002م.
- القاضي عياض: ترتيب المدارك وتقريب المسالك، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغربية؛ ط الثانية؛ 1403هـ- 1983م.
- القرطبي: الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، دار الصحابة للتراث؛ بطنطا، ط الأولى: 1416هـ – 1995م.
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق سالم مصطفى البدري؛ دار الكتب العلمية؛ بيروت لبنان 1420هـ-2000م.
- مالك بن أنس: الموطأ، طبعة دار الحديث: القاهرة؛ سنة 1425هـ-2004م.
- محمد أبو زهرة: مالك؛ حياته وعصره وآراؤه وفقهه، دار الثقافة العربية للطباعة؛ ط الثانية؛ 1952م.
- مسلم بن الحجاج النيسابوري: صحيح مسلم، تحقيق وتخريج؛ أحمد زهوة وأحمد عناية؛ ط دار الكتاب العربي؛ بيروت لبنان 1425هـ-2004م.